الإمام الجواد عليه السلام ودوره في التهيئة للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

الأستاذ الدكتور
راغدة محمد المصري
raghida.masri@ul.edu.lb
قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، لبنان

Imam Al-Jawad (peace be upon him) and his role in preparing for Imam Mahdi (peace be upon him)

Prof. Dr.
Raghida Mohammed Al-Masry
Department of History, Faculty of Arts and Human Sciences, Lebanon

الملخص:-

عمل الإمام محمد الجواد عليه السلام على صقل وجدان الأمّة ووعيّها عبر حراكه الامامي، ودوره الرسالّي ضمن السلسلة الذهبيّة لخط الامامة وادوارها المتعددة لهدف واحد بناء الجماعة الصالحة، واعداد الفرد و الجماعة والأمة لاستقبال الامام المهدي عجل الله فرجه.

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام رغم تعرض السلطة لهم والتضييق عليهم، إلا إنهم كانوا يقومون بمهامهم الرسالية، وإذا كان هذا التضييق عليهم في العراق أو المدينة، واضطهاد السلطة للعلويين، إلا أنّ هذا الأمر لم يمنع من انتشار التشيع ومحبة أهل البيت عليهم السلام في امصار ومناطق متعددة، وإذا كانت فترة إمامة الامام الجواد عليه قصيرة، إلا أنها كانت غنيّة بالعطاء.

تشكّل هذه الدراسة محطة مضيئة من سيرة الامام الجواد عليه السلام، من خلال كتب التاريخ والسيرة والحديث، وقراءة علاقته بالسلطة العباسية وقاعدته الشعبية من اصحاب وأتباعه وكلاء وعلماء وفقهاء،وتعالج اشكالية دور ومهام الامام الجواد عليه السلام في عهده وكيفية توظيفها بالتهيئة للامام المهدي عجل الله فرجه؟ وما هي أبرز تجليات هذا الدور؟ وبماذا تميزت مرحلة إمامة الامام الجواد ؟

تَمثّل دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في بناء مرجعية دينية، سياسية، أخلاقية، علمية تعنى بشؤون الفرد والجماعة، وافق الامام الجواد عليه السلام بين المهام والمسؤوليات لمنصب الامامة، وتحقيق الانجازات العلمية والاجتماعية في ظروف سياسية صعبة عاصرها في ظل سلطة عباسية اضطهدت العلويين، وضيقت على أئمة أهل البيت عليهم السلام .

إنّ تهيئة الجماعة والامّة للايمان والاعتقاد بإمامة الامام المهدي عجل الله فرجه كانت من أبرز أدوار و مهام الامام الجواد عليه السلام في خط الامامة، حيث تابع مسيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، وواجه خلال فترة امامته تحديات واشكاليات عديدة اولى تلك الاشكاليات: الامامة في سن مبكرة.

الكلمات المفتاحية: الإمام محمد الجواد، الإمام المهدي، الدور الرسالي، السلطة العباسية، عقيدة المهدي الموعود، الجماعة الصالحة.

Abstract:-

Imam Muhammad al-Jawad worked to refine the nation's conscience and awareness through his forward movement, his missionary role within the golden chain of the Imamate line, and its multiple roles for one goal of building the righteous community, and preparing the individual, the group, and the nation to receive Imam Mahdi.

The imams of Ahl al-Bayt, despite the authority's exposure to them and the restrictions imposed on them, were carrying out their missionary duties, and even if this restriction was imposed on them in Iraq or Medina, and the authority's persecution of the Alawites, this did not prevent the spread of Shiism and love for Ahl al-Bayt in Egypt and various regions. The period of Imam al-Jawad's imamate was short, but it was rich in giving.

This study constitutes an illuminating station in the biography of Imam Al-Jawad, through history, biography and hadith books, and reading his relationship with the Abbasid authority and his popular base of companions and followers, agents, scholars and jurists. It addresses the problem of the role and tasks of Imam Al-Jawad during his reign and how to employ them in preparing for Imam Al-Mahdi? What are the most prominent manifestations of this role? What was the stage of Imam Al-Jawad's imamate characterized?

The role of the imams of the Ahl al-Bayt was to build a religious, political, moral, and scientific authority concerned with the affairs of the individual and the group. Imam al-Jawad agreed between the tasks and responsibilities of the position of Imamate, and achieving scientific and social achievements in the difficult political circumstances he experienced under the Abbasid authority, which persecuted the Alawites and restricted the imams of the Ahl al-Bayt. .

Preparing the community and the nation for faith and belief in the Imamate of Imam Mahdi was one of the most prominent roles and tasks of Imam Al-Jawad in the line of Imamate, as he followed the path of the Imams from Ahl al-Bayt in building the righteous community, and during the period of his Imamate he faced many challenges and problems, the first of which was: Imamate at an early age.

Keywords: Imam Muhammad Al-Jawad, Imam Mahdi, the missionary role, the Abbasid authority, the doctrine of the Promised Mahdi, the righteous community.

الإمامة في سن مبكرة والتمهيد لفكرة المهدويّة:

دأب أئمة اهل البيت عليهم السلام على تثبيت عقيدة المهديّ الموعود، وحرصوا بالحديث الدائم والمستمر عنه. وورد روايات عدّة من جميع الأئمّة عليهم السلام عن المخلص الموعود، "الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً".

دفعت الإمامة المبكرة للإمام الجواد عليه السلام إلى تصدر البحث، في الفكر والتاريخ الإسلامي،عن مسألة إمامة السن المبكرة، وانقسم العلماء بين مؤيّد أو منكر، وطرحت حول هذا الأمر إشكاليات متعددة منها ما ذكرها الطبري: "ولما بلغ عمره - أي الإمام الجواد - ست سنين وشهور قتل المأمون أباه، وبقيت الطائفة في حيرة واختلفت الكلمة بين الناس، واستصغر سن أبي جعفر، وتحيّر الشيعة في سائر الأمصار"(١).

ويضيف أيضاً:" اختلف الناس في جميع الأمصار، واجتمع الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم وعبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلزل يبكون ويتوجعون من المصيبة. فقال لهم يونس: دعوا البكاء! من لهذا الأمر؟! يفتي المسائل إلى أن يكبر هذا الصبي -يعني أبا جعفر- وكان له ست سنين وشهور ثم قال: أنا ومن مثلي. فقام إليه الريان بن الصلت فوضع يده في حلقه ولم يزل يلطم وجهه ويضرب رأسه ثم قال له: إن كان أمر من الله جل وعلا كابن يومين مثل ابن مائة سنة، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه وهذا مما ينبغي أن ينظر فيه، وأقبلت العصابة على يونس تعدله "(٢).

وكان الإمام الرضا عليه السلام قد هيأ لهذا الأمر وأخبر أصحابه وشيعته إلى أنّ الإمام من بعده هو ابنه الجواد عليه السلام، وسيستلمها في سن مبكرة، وأن هذا لا ينقص من إمامته ومكانته العلمية. وأن العمر ليس مقياساً لأهلية تولي منصب الإمامة، كما كان الحال في تولي منصب النبوة.

فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام لمعمر بن خلاد:"هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني، وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا أكابرنا القذة بالقذة"(٣).

أثار تولّي الإمامة في سن مبكرة، استغراب الناس عموماً، حتّى مواليين وأتباع الإمام

الرضا عليه السلام، فقد رُوي عن صفوان بن يحيى أنّه سأل الرضا عليه السلام عن الخليفة بعده، فأشار الإمام إلى ابنه الجواد عليه السلام، وكان في الثالثة من عمره، فقال صفوان: جُعلت فداك! هذا ابن ثلاث سنين؟! فقال عليه السلام: "وما يضرّ ذلك؟ لَقَدْ قامَ عيسى عليه السلام بالحُجَّةِ وَهُوَ ابْنُ ثلاثِ سنينَ"(٤).

وكان الامام الرضا عليه السلام يخاطب ابنه الامام الجواد عليه السلام بالتعظيم، ويذكره بكنيته، فيقول: "كَتَبَ إلى أبو جعفرٍ" و"كُنْتُ أكتبُ إلى أبي جعفرٍ"، كما كان يستشهد على أنّ البلوغ لا قيمة له في موضوع الإمامة، بقوله تعالى في شأن يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ سورة مريم - الآية ١٢.

عمل الإمام الرضا عليه السلام على إزالة الشك في موضوع إمامة الجواد عليه السلام بالأدلّة والبراهين، بطرق وأساليب متعددة، وكان يأمر أصحابه بالسلام على ابنه والإذعان بالطاعة، كما في قوله لسنان بن نافع: "يا ابْنَ نافعٍ، سَلِّمْ وَأَذْعِنْ لَهُ بِالطّاعَةِ، فَروحُهُ روحي، وروحي روحُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله"(٥).

شكّلت إمامة الإمام الجواد عليه السلام، نقطة تحوّل كبرى كبداية للتمهيد الامام المهدي عج،وتثبيت إمامة الصغير في السنّ، من خلال إثباته الكفاءات الخاصّة الربّانيّة والإلهيّة لديه، فكانت هذه المسألة تمثل الظاهرة الأولى في تاريخ ائمة أهل البيت عليهم السلام، فمن تلك المرحلة أُخذ بالتمهيد لفكرة المخلص "الامام المهدي وهو صغير السن، وجاء بعده الإمام الهادي عليه السلام ليتولاها عن عمر ٨ سنوات ثم بعده الامام العسكري عليه السلام ثم قائم آل محمد المهدي عجل الله فرجه ليتولاها وله من العمر ٥ سنوات.

فكان الإمام الجواد عليه السلام أول تجسيد حيّ للإمامة التي احتلت مكانتها في المسائل الكلامية حتى غدت من أهم القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي، خصوصاً مسألة أن يتولى الإمامة إمام في سن مبكرة .

إثبات المرجعيّة العلميّة لأهل البيت عليهم السلام :

عمل أئمّة أهل البيت عليهم السلام على بناء مرجعيّتهم العلميّة بين المسلمين، وكانت من المسائل المهمة التي عمل عليها الإمام الجواد عليه السلام، فقد أثبت إعجازه العلمي وسعة علومه

ومعارفه وقوّة حجّته وعظمة آياته وتفوق على عدد كبير من العلماء. وكان الناس في المدينة يسألونه ويستفتونه وهو ابن تسع سنين. وجاءت مرجعيته العلمية و الدينية خير دليل على إثبات النظريّة الشيعيّة، الّتي ترى أنّ الإمامة تنصيبٌ إلهيٌّ وليست اختياراً بشريّاً.

عرف الإمام الجواد عليه السلام بترقّيه في معارج العلم، وهو فتى يرجع إليه كبار العلماء يسألونه ويستفتونه وكانت له العديد من المناظرات العلمية والفقهية والدينية.ومن المواقف العلمية التي ذكرتها كتب السيرة والتاريخ حواره مع قاضي القضاة "يحيى بن أكثم"، حين عرض على الامام عليه السلام مسألة في محاولة تعجيزه عن الرد فطرح عليه السؤال التالي(٦):

"ما تقول في مُحْرِمٍ قتل صيداً؟"

أجاب الإمام عليه السلام:

"قتله في حِلٍّ أو حرم؟

عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟

قتله عمداً أو خطأ؟

حُرّاً كان المحرم أو عبداً؟

صغيراً كان أو كبيراً؟

مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟

من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟

من صغار الصيد أم من كبارها؟

مصرّاً على ما فعل أم نادماً؟

ليلاً كان قتله للصيد أم نهاراً؟

محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟"

واشرأبّت أعناق المجتمعين في المناظرة إلى القاضي يحيى، الّذي عجز من متابعة مسألة الإمام عليه السلام، فبان عليه الارتباك.

وأعلن الامام الجواد عليه السلام بنفسه أنّه أعلم أهل زمانه، وعرّف الناس بذلك، فقد جاء إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد استشهاد أبيه عليه السلام،، وصعد المنبر ورقا منه درجة وقال:

" أنا محمد بن علي الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم وظواهركم، وما أنتم صائرون إليه، علم منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين، وبعد فناء السموات والأرضين، ولولا تظاهر أهل الباطل، ودولة أهل الضلال، ووثوب أهل الشك، لقلت قولاً تعجب منه الأولون والآخرون"(٧).

فكان ذلك بمثابة إعلان بأنّه الإمام المفترض الطاعة، وأنّه يملك أسرار العلوم والمعارف، وأنه أعلم الناس في زمانه بالشريعة المقدسة، وأفقههم في مسائل الحلال والحرام، وأعرفهم بمفاهيم الإسلام وفلسفته وأحكامه.

قصده في المدينة المنورة العديد من العلماء والفقهاء الأمصار ليتعرفوا عليه، وليسألوه مختلف المسائل، وبعضهم كان بدافع امتحانه ومعرفة أهليته للإمامة،وقد أجاب على جميع أسئلتهم مما دفعهم للاطمئنان أكثر بأنه الإمام المفترض الطاعة بعد أبيه الإمام الرضا عليهما السلام.

استمرت في عهده مدرسة أهل البيت عليهم السلام حيث قصدها كبار العلماء و الفقهاء و الرواة و انتهلوا من علومه و رووا عنه الكثير من المسائل العقائدية- الفلسفية و الكلامية- و الفقهية و التفسيرية. أحصى رواته وصحبه من الرجاليين، الشيخ الطوسي حيث عدّ في موسوعته الرجالية ١١٦من أصحاب الامام الجواد عليه السلام ورواته وكان منهم عددا العلماء والفقهاء والمحدِّثين، وأعلام الفكر والأدب، وكان منهم العامة والغلاة، وعدّ الحسيني من الصحابة والرواة والوكلاء ما يقارب ٢٥٠(٨).

تخرّج من مدرسته العديد من أصحاب الفضل في حفظ الأحاديث والأحكام ونقلها لأتباعهم. اظهر الامام الجواد كفاءته العلمية وسعة علومه ومعارفه من خلال مناظرة ومحاججة علماء وحكّام عصره، كان أصحابه يتّصلون به مباشرة، وتصل إليهم الأحكام الشرعيّة والحقوق. وكان يدرّس، ويحاور، ويبيّن للناس ما اشتبه عليهم من أمر دينهم ودنياهم.

أدركت السلطة العباسية مدى تأثيره في ممارسة دوره العلمي والسياسي والشعبي، فقامت بمحاولة التضييق عليه عن قاعدته ومريديه وطلابه، بعد أن شهدوا تزايد العلماء

والفقهاء إليه واتساع قاعدته لذلك حاولت السلطة العباسية إقصاء الامام الجواد عليه السلام عن المدينة المنورة خوفا من تألق نجمه واتساع تأثيره أكثر وليكون على مقربة من مركز السلطة والرقابة، فطلبت منه الحضور إلى بغداد عام ٢١٩هـ،إلا إنّه لم يسكن فيها طويلا وعاد إلى المدينة، رغم تحفّظات المأمون، ليكون بعيداً عن مراقبة السلطة المباشرة، والقيام بمهامّه التوعية، والتثقيفية والإرشادية.

ساهمت إجابات الامام الجواد عليه السلام على الاستفتاءات الفقهية والاستفسارات العلمية في البناء العلمي للجماعة الصالحة، والتي كانت تتم إما بشكل مباشر او غير مباشر عبر الوكلاء والرسائل.

حرص الامام الجواد في كتبه على ترسيخ قيم الاسلامية الأصلية من حرية وعدالة ومحاربة الظالمين. وشدّد على ضرورة الابتعاد عن مجاراة الظالمين والركون اليهم.

روى عنه عليه السلام:"العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء"(٩).

وحرّم التعامل مع الظالمين، فقد ورد عنه عليه السلام: "من استمعَ إلى ناطق فقدْ عبدَه، فإن كان الناطقُ عن اللهِ فقد عبدَ اللهَ، وإن كان الناطقُ ينطقُ عن لسانِ إبليسَ فقد عبدَ إبليس"(١٠).

وكان للإمام الجواد عليه السلام موقفاً حازماً من الغلاة من الفرق المنحرفة والتيارات الفاسدة التي انتشرت قبل تولّيه الامامة، وتصدى أئمة أهل البيت عليهم السلام لهذه الظاهرة المنحرفة، وسلك الامام الجواد عليه السلام نهج آبائه في هذه المسألة، ورصد ممارساتها، ونهى عن اتباعها، ذمّ الغلاة ولعنهم وحذر الأمة منهم، فعن إسحاق الأنباري: " قال أبو جعفر الثاني ما فعل أبو السمهري (لعنه الله) يكذب علينا، ويزعم أنه وابن أبي الزرقاء دعاة إلينا، أشهدكم أني أتبرأ إلى الله جل جلاله منهما، أنهما فتانان يفتنان الناس"(١١).

كما روى علي بن مهزيار:" سمعت أبا جعفر يقول - وقد ذُكر عنده أبو الخطاب-:

"لعن الله أبا الخطاب (إلى أن قال) هذا أبو الغمر وحفص بن واقد وهاشم بن أبي هاشم استأكلوا بنا الناس، وصاروا دعاة يدعون الناس إلى ما دعا إليه أبو الخطاب لعنه الله ولعنهم معه ولعن من قبل ذلك منهم، يا علي لا تتحرجن من لعنهم (لعنهم الله) فإن الله قد

لعنهم؛ ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تأثم أن يلعن من لعنه الله فعليه لعنة الله"[١٢].

كان خطر الغلاة شديداً، لأنهم يضللون الناس عن الحق، وعقائد أهل البيت عليهم السلام ويقومون بوضع روايات وأحاديث كاذبة، لذلك كان موقف الإمام الجواد عليه السلام حازماً ضدهم، داعياً إلى مقاطعتهم، اجتنابهم، ولعنهم لأنهم يمثلون رأس الفتنة، ومنبع الانحراف العقائدي والفكري.

من هنا يتجلى لنا الاتجاه الاخر للامام الجواد عليه السلام في إثبات المرجعية العلميّة هو تعميق البناء الثقافي والروحي والتربوي للجماعة الصالحة وتهيئتها لدور الغيبة الامام المهدي عج، فكان له دورا مهما وحيويا في ترسيخ العقائد الإسلامية والدفاع عنها مواجهة التيارات المنحرفة والبدع.

نظام الوكالة والتأسيس لعصر الغيبة:

اعتمد الأئمّة عليهم السلام نظام الوكلاء، الّذين ينوبون عنهم في التصدّي لشؤون الناس بتفويضٍ منهم عليهم السلام، خاصة في الظروف الصعبة لممارسات السلطة الأموية والعباسيّة الّتي كانت تعمل على مضايقة الأئمّة عليهم السلام ووضع العيون عليهم، وترصد كلّ تحرّكاتهم. إضافة إلى اتساع الرقعة الجغرافية التي انتشر فيها أتباع أهل البيت عليهم السلامالمذهب الشيعي، وكان لا بد لهم من وكلاء ليكونوا حلقة الوصل بين الأئمة عليهم السلام واتباعهم.

عانى الامام الجواد عليه السلام من رقابة شديدة من قبل السلطات الحاكمة العباسية، فقد عملوا بالتضييق عليه، فجاءت الحاجة ملحّة لتوسيع نظام الوكلاء لتسهيل التحرك والارتباط بقاعدته الشعبية، واعداد وتهيئة الشيعة للتعامل مع (رواة حديث أهل البيت عليهم) من الوكلاء ويعلمونهم العقيدة والأحكام ، و لكي يأمن الشيعة الفتن والبدع والعقائد الفاسدة والسلوكيات المنحرفة.

مارس الامام دوره العقائدي السياسي بشكل واسع معتمداً فيه على مجموعة من الوكلاء السرّيين لنشر توجيهاته السياسية وفتاويه العقائدية، عن طريق تبادل الرسائل، بعيداً عن مراقبة السلطات الحاكمة، التي اكّد فيها الامام عليه السلام على اتباعه ومريديه ضرورة التعامل مع الاحداث والمحن التي يتعرضون لها،بكل تعقل وحذر وسرّية وكتمان ولا

ينساقوا وراء الانفعالات التي تقودهم إلى الهلاك أي تأكيده على ضرورة التقية في التعامل مع الواقع السياسي(١٣).

سمح الامام الجواد عليه السلام لأتباعه أن يتقلدوا المناصب الادارية في السلطة ليكونوا له عيوناً داخل الدولة ولمساعدة اخوانهم من اتباع أهل البيت عليهم، وقد ذكرت حكمة لفته صكَر، في دراستها الحياة الفكرية للامام محمد الجواد عليه السلام، بعضا منهم(١٤):

كان نوح بن دراج قاضياً لبغداد بعض الوقت وبعدها قاضياً للكوفة، وأصبح البعض الأخر من الشيعة، مثل الحسين ين عبد الله النيشابوري حاكماً لبسُت وسيستان وتولى الحكم بن علي الأسدي حكم البحرين، وكانا يدفعان الخمس إلى الأمام الجواد عليه السلام مما يعني ارتباطهم السري بالأمام التاسع...

ويمكن القول أنّه ومنذ عصر الإمام الجواد عليه السلام وحتى ابتداء الغيبة الصغرى شهد نظام الوكلاء دوراً فاعلاً وكبيراً جداً في حفظ كيان الجماعة الصالحة ووقايته من التفتت والانهيار. ومهمة الوكيل سواء السرية او العلنية تختصر بالعناوين التالية:

١. استلام الخمس من الشيعة وإيصاله للإمام الجواد عليه السلام

٢. الاجابة على المسائل الفقهية والعقائدية.

٣. التعريف بالإمام الجواد عليه السلام وتمهيد الأرضية للفكرة المهدوية

ذكر القزويني في موسوعة الجواد عليه السلام ستين موردا في كتب ورسائل بعثها الامام الجواد عليه السلام إلى أفراد محددين جمعها من مصادرها كتب الرجال، الاحاديث، والسيرة والتاريخ(١٥).

وكشاهد نذكر نموذجاً رسالة وردت في مسألة فقهية: "جاء في رواية علي بن مهزيار عن محمد بن الحسن الاشعري،قال:

كتب بعض بني عمي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام:ما تقول في صبيّة زوّجها عمها،فلما كبرت أبت التزويج؟ فكتب بخط يده عليه السلام:"لا تكره على ذلك،والأمر أمرها"(١٦).

وكان الامام الجواد عليه السلام يتابع أعمال وكلائه، ويرشدهم ويعطيهم توجيهاته،

وعن إبراهيم بن محمد الهمداني: كتبت إلى أبي جعفر: عليه السلام أصف له صنع السبع بي، فكتب عليه السلام بخطّه:

"عجّل الله نصرتك ممن ظلمك، وكفاك مؤنته، وأبشر بنصر الله عاجلا، وبالأجر آجلا، وأكثر من حمد الله"(١٧).

ازداد انتشار وتوسع الوكلاء في عهد الامام الصادق عليه السلام حيث شملت المناطق: الحجاز، العراق، ايران، بلاد الشام، مصر، شمالي أفريقيا.

افشال مشروع السلطة بالتودد لأهل البيت عليهم السلام :

سعت السلطة العباسية جاهدة على إضعاف موقع الإمامة وجعلها تابعة لها تستظلّ بفيئها وسلطانها. وهذا ما عمل من أجله المأمون في سياسته مع الإمام الرضا عليه السلام حين عهد إليه منصب ولاية العهد، وكذلك الحال عندما زوج ابنته من الامام الجواد عليه السلام.

أفشل الامامان الرضا والجواد عليهما السلام المخطط العباسي وانعكس ذلك على القاعدة الشعبية بشكل ايجابي بأمرين:

الأول: عزّز ايمان وعقيدة الشيعة بمعتقداتهم

الثاني: أمدّ القاعدة الشعبية بالقوة لاسيما الثّائرين الشّيعة والعلويين.

إن إشكالية تزويج المأمون لابنته (أم الفضل) من الامام الجواد عليه السلام بعد استدعائه من المدينة سنة ٢٠٤هـ /٨١٩م(١٨) بقي مطروحاً، لماذا هذا الزواج؟ وما هي غاياته؟

قبل معالجة هذه الاشكالية التي طرحت،لا بد من الاشارة إلى أنه في تلك الفترة كثرت الثورات والانتفاضات ضد السلطة العباسية وكان منهم العلويين، مما شكلّ تهديدا مباشراً كاد أن يطيح بالسلطة:

- في بغداد قام إبراهيم بن المهدي عم المأمون يرمي المأمون بأمه ويدعو العباسيين بالثورة عليه.
- في الكوفة خرج أبو السرايا العلوي بجيش كبير وأعلن الثورة.

- في البصرة خرج زيد بن موسى بن جعفر ومعه علي بن محمد.
- في مكة خرج محمد بن جعفر الملقّب بالديباج.
- في اليمن خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر.
- في المدينة خرج محمد بن سليمان العلوي.
- خرج جعفر بن محمد بن زيد بن علي، والحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي في واسط.
- في المدائن خرج محمد بن إسماعيل.

وتذكر المصادر التاريخية كيف أن السلطة العباسية قمعت بقوة الانتفاضات العلوية، وضيقت على الائمة عليهم السلام، وسجن الامام موسى بن جعفر عليه السلام حتى استشهاده غير بعيد عن عهده، وضيق على الامام الرضا واستشهاده أيضاً بالسم.

رأى المأمون أنّ هذا الزواج هو طريق الخلاص لعديد من المشاكل السياسية الداخلية، إضافة إلى دوافع عديدة نذكر بعضا منها:

١. التقرّب من أهل البيّت عليهم السلام والتودّد منهم، لتبرئة نفسه من قتل الامام علي الرضا عليه السلام، بادر إلى فكرة زواج الامام لاكتساب ثقة وامتصاص نقمة وغضب الشيعة والعلويين. وأراد أن تكون لخلافته بعض الشرعية بهذا الزواج لايقاف الحركات والثورات والتغطية على جرائمه بحق أهل البيت عليهم السلام.

٢. اضفاء الصبغة القداسة للخلافة العباسية بارتباطه بأهل البيت عليهم السلام، والحفاظ على حكم الخلافة العباسية، وما كان زوّاجه لابنته من أبي جعفر عليه السلام إلاّ ليستولدها منه، ويكون جدّاً لاَحد أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله مما يقوّي مركزه السياسي، وقد بيّن ذلك في قوله: " إنّي أحببت أن أكون جدّاً لامرئ ولَدَه رسول الله، وعليّ بن أبي طالب "[١٩]، ولعله يعتقد أنّه من المفترض أن تنجب ابنته مولودا وسيكون أحد اولاد الامام الجواد إماماً من بعده، ويكون من ذريته الامام المهدي عج، إذ أنّ الاحاديث والروايات الكثيرة عن الرسول واهل بيته عليهم السلام حددت اسماء الأئمة عليهم السلام، إلاّ أنّ هذا الأمر فشل حيث لم تلد ابنته وكان أولاد الإمام من امرأة أخرى.

٣. كان يهدف من خلال هذا الزواج التضييق على الامام الجواد السلام، ووضعه تحت مراقبتهِ وهذا ما عملت عليه ابنته، حيث قامت بنقل أخبار الامام عليه السلام لأبيها. كما حاول أن يحدّ من تحركات الإمام لقطع الصلة بينه وبين شيعته ويضعه في نطاق سيطرته، واراد منه الارتباط ببلاط الخليفة الذي يسوده المجون ويجره إلى اللهو واللعب لتشوّيه قداسة الإمام وإسقاط عصمته في عيون.

إنّ موافقة الامام الجواد عليه السلام على الزواج جاءت من باب الحرص على خط الامامة والجماعة الصالحة، فرفضه سيساهم بالتضييق عليه أكثر وعلى أتباعه من العلويين الذين تعرضوا إلى الاضطهاد فاضطروا إلى أن يهاجروا إلى بلدان أخرى، ولا بد من الاشارة إنّ هذه الهجرة تركت أثراً طيباً من حيث انتشار التشيع في الأمصار، فكانوا بمثابة سفراء دعاة للتشيع.

إن دراسة وتحليل الرسائل والاحاديث الصادرة عن الإمام الجواد عليه السلام، وقراءة مواقف السلطة العباسية من الإمام، تبيّن أهمية الدور القيادي والهام الذي مارسه الامام الجواد عليه السلام والتفاف فئة كبيرة الناس حوله، لما يمثلُه من محور في خط إمامة أهل البيت عليهم السلام، تتجلى فيه السياسة الحكيمة الخفيّة للإمام الجواد عليه السلام. ولاحظنا مما ورد سابقاً كيف أن الامام الجواد أفشل مخططات السلطة، حيث أنّه لم يستقر في بغداد، بل عاد إلى المدينة للقيام بمهامه وتكليفه الالهي.

والسؤال الذي يواجهنا هو ما هو السر في اختيار الأئمة عليهم السلام للجواري من دون الحرائر العربيّات من البيوتات الرفيعة ذات المنزلة الاجتماعية؟ ولماذا يقترن الأئمة عليهم السلام بالجواري ليلدن لهم أفضل الأولاد والبنات؟

وللإجابة عن ذلك لابد أن نسلّط الأضواء على بعض المفاهيم العامّة والركائز الأساسية ذات الصلة بما نحن فيه لنخرج من خلالها بما يرفع الغموض والإبهام عن هذه المسألة، والذي يظهر ما وراء اختيار الأئمة عليهم السلام الجواري:

- إنّ الامام يعمل بتكليف من الله سبحانه وتعالى، يعني الله كلّف الامام أن يشتري الجارية ويتزوجها، قال أبو الحسن عليه السلام:" والله، ما اشتريت هذه الجارية إلا بأمر الله ووحّيه"(٢٠).

- إنّ ممّا لا شك فيه أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام أوتوا العلم بحقائق الأمور والأشياء ومعرفة مداخلها ومخارجها، ومنها العلم بأحوال الناس وخصوصياتهم، وقد ورثوا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو أطلعهم الله تعالى عليه لنفوذ بصائرهم، وصفاء نفوسهم وطهارة ذواتهم.

وقع اختيار الأئمة عليهم السلام على هؤلاء الجواري من دون سائر النساء لعلمهم عليهم السلام بأنهنّ قد جمعن شرائط الاقتران بالمعصوم عليه السلام وصلاحيتهنّ للأمومة التي ستنجب الإمام المعصوم إذ كما يشترط أن يكون الآباء طاهرين مطهّرين فكذلك الحال بالنسبة للأمهات.

وغنيّ عن البيان مدى تأثير الأم على ولدها، فإنّ لعامل الوراثة مدخلاً كبيراً في التكوين الخلقي المنعكس على الولد من قبل أبويه، كما نصّت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام وأيّدته البحوث العلميّة التي عنيت بهذا الجانب في حياة الإنسان.

ومما يؤيد هذا الوجه أنّ الإمام عليه السلام قد يختار واحدة بعينها من دون سار الجواري اللاتي عرضن للبيع، وقد تكون غير صالحة بحسب المعايير الماديّة للبيع والشراء إلا أن الإمام عليه السلام لا يختار غيرها، بل تذكر المصادر أن هذه الجارية، قد تمتنع عن الاستسلام لأي مشتر يتقدم لشرائها حتى يكون الذي يشتريها هو الإمام عليه السلام، مع أنها في ظروف لا تملك من أمرها شيئاً، الأمر الذي يؤكّد على أن هناك تخطيطاً إلهياً متقناً لأن تكون هذه المرأة قرينة للإمام عليه السلام وقد أعدّها الله تعالى لتصبح أمّاً للمعصوم عليه السلام

- كسر الأئمة عليهم السلام حاجز الشعوبية والعنصرية الذي اتبعته السلطات الحاكمة، منذ بدايات الفتح العربي خاصة في شمالي أفرقيا، بالمصاهرة مع الموالي،مما جعل انتشارهم واسع في بلاد العجم كفارس والبربر والديلم وما شابه.

وهذا ما يفسر لنا سرَّ المعارك والانقلابات التي خاضتها قبائل البربر في المغرب ضدَّ الأمويين ويستدلّ منه على الولاء لأهل البيت عليهم السلام كان ثقافةً راسخةً قبل ورود إدريس نفسه للمغرب.

يذكر إدريس هاني، إنّ الاحترام الكبير الذي تدين به الثقافة المغربيّة للأشراف العلويّين كان دأب الحجيج المغاربة الاتّصال والتواصل مع الأئمة والعلويين بالمشرق ثمّ حمل

الأخبار والاحاديث إلى قومهم، كان الإمام الصادق عليه السلام، من أوائل من شجّع بعض من أصحابه على الهجرة إلى المغرب حيث أرسل سنة ١٤٥هـ، ـ قبل هجرة ادريس وعبيد الله،بكلٍّ من الحلوانيّ وأبي سفياني إلى بلاد المغرب قائلاً لهما فيما يرويه جماعة من أهل الأخبار منهم المقريزي: إنّكما تدخلان أرضاً بوراً لم تُحرث قطّ فاحرثاها واكرباها وذللاها حتّى يأتي صاحب البذر ويضع حبّه فيها(٢١).

إنّ من أعظم الرّكائز التي قام عليها الدّين الاسلامي، إلغاء الفوارق ونبذ العنصرية والطبقية والعصبية، وقد أكّد القرآن الكريم في آياته، والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت النظرة إلى جميع الشعوب والناس على أساس من التساوي وأنّ المعيار في التفاضل بين الناس هو مقدار ما يتحلّى به الإنسان من الإيمان والتقوى ومكتسباته الشخصية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. الحجرات:١٣.

ممّا لا شك فيه أن رسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هي خاتمة جميع الرسالات السابقة، وأوكلت مهمّة حفظ الرسالة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذريّته وفاته الأئمة الاثنا عشر عليهم (السلام) أوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام، وآخرهم الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام، فكما أنّ نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عامّة شاملة، فكذلك إمامة الأئمة عليهم السلام عامة وشاملة، كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل للعالمين وللناس كافة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الانبياء: ١٠٧.

ولّما الإمامة كانت عامّة وأن الإمام إمام لكل الناس على شتى اختلاف أعراقهم وأصولهم ،انحدر بعض الأئمة من جهة أمّهاتهم من أصول غير عربيّة ليكون ذلك علامة بارزة على عالميّة إمامتهم، وشمولها لجميع أهل الأرض، وأنّ لكل الاقوام والاعراق طرفاً يوصلها بهذا الدّين الإلهي العظيم.

ومن هنا يتضح لنا وجه آخر في اقتران بعض الأئمة بنساء غير عربيات، بل من قوميات أخرى فإنّ: أمّ الإمام السجاد كانت فارسية، أمّ الإمام الكاظم من أشراف الأعاجم، أمّ الإمام الرضا من أهل المغرب، أمّ الإمام الجواد من أهل النوبة من قبيلة مارية القبطية أمّ إبراهيم ابن رسول االله، أمّ الإمام الهادي مغربية، ولم يكن لها مثيل في

الزهد والتقوى، أمّ الإمام الحسن العسكري في بلدها من الأشراف في مصاف الملوك، وكانت أم الإمام الحجة بنت قيصر ملك الروم، وأمّها من ولد الحواريين، وتنسب إلى وصيّ المسيح شمعون الصفا(٢٢).

الخاتمة:

إنّ الامام محمد الجواد عليه السلام رغم قصر الفترة التي عاشها، أنما حقق انجازات عظيمة، وترك لنا تراثا كبيرا امتد مع وكلائه بكافة الامصار الاسلامية، سواء باتساع التشييع في تلك الفترة التي عاصر فيها قيام اول دولة شيعية في بلاد المغرب، ثم قيام دويلات شيعية متلاحقة، اضافة إلى تراثه الفكري وانجازاته العلمية والفقهية والعقائدية، فهو عمل على بناء الجماعة الصالحة، وتهيئة الشيعة وتربيتهم روحيّا و عقائدياً، للاستعداد على فهم قضية المهدوية واستيعابها، من خلال:

- كونّه اوّل امام تولّى الامامة في سن مبكرة، وذلك لجعلهم على بصيرة ويقين من أمرهم في عهد الامام المهدي عجل الله فرجه.
- ركّز على نظام الوكلاء وعمل على توسيعه وفق المسيرة التي خططها الأئمة عليهم السلام، لتعتاد القاعدة الشعبية علىيها،حيث ستنتظرهم أيّام مقبلة ينقطعون فيها عن أئمتهم عليهم السلام فكان لا بدّ لهم أن يقتربوا من حالة الاكتفاء الذاتي في إدارة شؤونهم فكريّا و سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا.
- ثبّت فكرة العالمية التي ستبنى عليها دولة الامام المهدي المخلص الموعود عجل الله فرجه، وعمل كآبائه أئمة أهل البيت على إبراز الوجه الانساني العالمي للرسالة الاسلامية والتي أساسها التفاضل عند الله هو التقوى، والأئمة عليهم عليهم السلام تزوجوا من الاماء، وانجبوا أئمة عليهم السلام حيث ستكون اعراق وقوميات وشعوب عدة لها قرابة بالإمام المهدي عجل الله فرجه.

مصادر البحث وهوامشه

• إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

(١)- دلائل الإمامة، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م، ص٢٠٠.

(٢)- م.ن، ص ٢٠٠- ٢٠١

(٣)- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٥٠، ص٢١، رقم٩

(٤)- الأصول من الكافي، الشيخ الكليني، ج١،ض٣٨٣ دار الكتب الاسلامية تهران، ط ٣، ١٣٩٩هـ.

(٥)- مناقب أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٤٩٤، المطبعة الحيدرية،النجف، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦

(٦)- الإرشاد، المفيد، ج٢، ص٢٨٣.

(٧)- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٥٠، ص ١٠٨.

(٨)- الإمام محمد الجواد عليه السلام سيرة وتاريخ، عدنان الحسيني،ص ٧٦، مركز الرسالة.

(٩)- بحار الأنوار، العلامة المجلسي،ج ٢،ص٣٣٣.

(١٠)- ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص٤٥٦.

(١١)- خاتمة المستدرك، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ٤، ص ١٤٢. قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، ج١١، ص٣٥٨، رقم٤٣٤.

(١٢)- اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، ج٢، ص٨١١.

(١٣)- الحياة الفكرية للأمام محمد الجواد عليه السلام - (دراسة تأريخية)، حكمة لفته صكَر، مجلة الجامعة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية/جامعة بابل العدد ٢٢ آب ٢٠١٥

(١٤)- المصدر نفسه

(١٥)- موسوعة الامام الجواد عليه السلام، الحسيني القزويني ج ٢، ص ٤١٦

(١٦) - الفروع من الكافي، الشيخ الكليني،ج٥، ص٣٩٤. ط ٣، ١٣٦٧ ش

(١٧)- اختيار معرفة الرجال،الشيخ الطوسي، ج٢، ص٨٦٩.

(١٨)- الارشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ص٢٨٤

(١٩)- المصدر نفسه ج٢،ص٢٨٨

(٢٠)- دلائل الأئمة، الطبري،ص٣٤٨

(٢١)- دوله التشيع فى بلاد المغرب،نجيب زبيب، ص١٢٠، ط١، دار الامير للثقافه و العلوم، ١٤١٣بيروت هـ.

(٢٢) - راجع : أمهات المعصومين- دراسة تاريخية روائية لسيرة أمهات المعصومين، عبد الرسول زين الدين، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٩